النزعة السلفيَّة في معالجة محمد رشيد رضا للصفات الإلهيَّة

إعداد
د/ محمد سيد محمد أحمد
مدرس بقسم الفلسفة
كلية الآداب – جامعة أسيوط

مُلخص:

لقد احتلت قضية الصفات الإلهية مكانة كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي؛ فلقد شغلت حيزًا من تفكير علماء الكلام بشكل واضح، وكانت مثارًا للنقاش والجدال خاصةً عند المعتزلة والأشاعرة بالإضافة إلى فلاسفة الإسلام والمتصوفة. ولقد كان للسلف منهج واضحٌ حيال الصفات الإلهية، يقوم هذا المنهج على قاعدة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات ومعانيها من غير تمثيل وتنزيهًا من غير تعطيل.

ولقد رأى رشيد رضا أن منهج السلف في التعامل مع الصفات الإلهية هو الحق البيّن الثابت وهو منهج الأئمة الثقات وهو الأسلم والأعلم وألاحكم. مؤكدا على أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية هي الطريقة الأفضل في الجمع بين النقل والعقل.

Abstract

The issue of divine attributes has occupied a significant place in the history of Islamic philosophical thought. It has obviously preoccupied theologians' minds, and has been an object of debate, specially among Muʿtazilites (Isolationists) and Asha'rites besides Moslem philosophers and Sufis. The Salafis had a clear approach to divine attributes. This approach is based on the rule that any attribute that Allah has ascribed to Himself or that His Prophet has ascribed to Him, is an attribute in a real sense, and is not metaphorical.

Rashid Reda saw that the Salafi approach to divine attributes is the right and fixed approach, and is the approach of trustworthy imams. It is the safest, the most knowledgeable and the wisest approach. He confirms that the Salafi approach to proving divine attributes is the best approach the combines both tradition and the mind.

مُقَدِّمَة

الحمد لله المُنزه عمّا يخطر بالبال، أو يُتوهم في الفكر والخيال، تحيرت العقول في حقيقة ذاته وتخبطت الأفهام في أسمائه وصفاته، والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وأصحابه،الذين سلكوا طريق الأدب مع الله ورسوله، فأولئك مَن صحبوا الرسول وشاهدوا التنزيل، وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل، ومع ذلك لم يكونوا يخوضون في حقيقة الذات ولا في كيفية الصفات( )، فصفات الله تعالى من الأمور الغيبية التي لا يستطيع البشر معرفتها إلا عن طريق القرآن والسنة؛ لأن البشر ليس بمقدورهم الإحاطة بالذات الإلهية،قال تعالى﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ **[طه:١١٠]** وإذا كان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإنه ليس بمقدور العقل البشري الخوض في ماهية صفات الله ومعرفتها على التفصيل.

وتجدر الإشارة إلى أن قضية الصفات الإلهية قد احتلت مكانة كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي؛ فلقد شغلت حيزًا كبيراً من تفكير علماء الكلام بشكل واضح، وكانت مثارًا للنقاش والجدال خاصةً عند المعتزلة والأشاعرة بالإضافة إلى فلاسفة الإسلام والمتصوفة.

ولقد كان للسلف موقفٌ واضحٌ حيال الصفات الإلهية، وليس مجالنا الآن أن نعرض لآراء المُتكلمين تجاه الصفات الإلهية وموقف السلف من هذه الآراء، وإنما نود هنا إبراز النزعة السلفية في معالجة قضية الصفات الإلهية عند شخصية من أهم شخصيات مرحلة النهضة العربية تأثيرًا وجدلًا إنه المُفكر "محمد رشيد رضا" (*) -رحمه الله- وهذه هي مشكلة هذا البحث.

مشكلة البحث:

يُعد محمد رشيد رضا من أهم شخصيات مرحلة النهضة العربية تأثيرًا وجدلًا، فلقد اختلفت الآراء حوله، فبعضهم يراه خليفة الشيخ "محمد عبده"(١٢٦٦-١٣٢٣هـ) وتُرجمانا لمدرسته الدينية في اعتزازها بالعقلانية( ). بينما يراه آخرون ينتمي إلىٰ المدرسة السلفية(*)؛ نظرا لتأثره بمؤلفات شيخ الإسلام "ابن تيمية" (٦٦١-٧٢٨هـ) وثنائه على دعوة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"(*) التي انطلقت من بلاد الحجاز وجابت معظم الأقطار والبلدان.

ونظرا لتعدد الآراء حول الحكم على شخصية محمد رشيد رضا اختار الباحث قضية؛ مهمة الوقوف عليها يساعدنا في إزاحة الستار حول ذلك الخلاف الذي دار حول شخصية رشيد رضا، إنها قضية الصفات الإلهية، تلك القضية العقدية نظرًا لارتباطها أشد الارتباط بقضية الذات الإلهية، ولا يمكن فصلها بأي حالٍ من الأحوال عنها.

وتجدر الإشارة إلى أنه من المعلوم من الدين ضرورةً وجوب التسليم بالصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسله، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو على لسان رسله-عليهم الصلاة والسلام-، والتسليم بهذه الصفات يُعد من أصول الدين.

ولقد انقضى عصر الصحابة والتابعين من السلف والأئمة على التسليم المطلق بما جاء فى الكتاب والسنة عن الذات الإلهية وصفاتها، ولم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات( )، ولم نشهد لديهم هذا الخلاف في قضية الصفات الذي وجدناه فيما بعد لدى بعض متكلمي الإسلام وعلى رأسهم المعتزلة ومن نحا نحوهم واقتفى آثارهم فيما بعد في البيئة الإسلامية، ممن أطلق عليهم أنصار الاتجاه العقلي أو المدرسة العقلية الحديثة(*) والتي يرى البعض كما أشرنا سابقا أن "رشيد رضا" ينتمي إليها(*)، وما يعيننا الآن في هذا البحث هو محاولة إبراز النزعة السلفية في معالجة رشيد رضا لهذه القضية.

أهداف البحث:

١- تسليط الضوء على محور هام من محاور فلسفة محمد رشيد رضا تلك الشخصية التي بلغت من الشهرة والصيت مبلغا عظيما في شتى أرجاء وطننا العربي والإسلامي؛ بفضل هذه المجلة التي أنشاها رشيد رضا والتي عُرفت باسم (مجلة المنار) والتي كانت محط أنظار الباحثين والمفكرين حينئذ، والتي بث فيها رشيد رضا فلسفته.

٢- الوقوف على النزعة السلفية في معالجة رشيد رضا لقضية الصفات الإلهية، تلك القضية التي تُعد من مسلمات العقيدة الإسلامية؛ لذا فهي من أخطر وأدق قضايا علم الكلام، والتي شغلت حيزا كبيرا من تفكير المتكلمين في الفكر الفلسفي الإسلامي، وكانت أرضا خصبة للنقاش والخلاف فيما بينهم.

٣- بناء رؤية واضحة حول شخصية دار حولها خلاف وجدل كبير بين من يرى رشيد رضا من رواد الاتجاه العقلي وخليفة لـ"محمد عبده" وترُجمانًا لأفكاره، وآخرين يرونه يقتفي آثار السلف في طرحه للقضايا العقدية لاسيما قضية الصفات الإلهية.

أهمية البحث:

لاشك أن البحث في قضية الصفات الإلهية من أصعب القضايا وأكثرها حاجة إلى اختيار الألفاظ الملائمة التي تعبر عن المعنى المُراد؛ ذلك لأن الكلام في الصفات فرعًا عن الكلام في الذات، لذا فإن البحث في هذه القضية عند مُتكلم أو فيلسوف ما كفيل بأن يوضح لنا منهج هذا المُتكلم أو ذلك المُفكر، ومن خلال عرضنا لمعالجة رشيد رضا لهذه القضية نستطيع أن نقف على فكر ومنهج رشيد رضا.

ونجيب عن هذا التساؤل هل وقف رشيد رضا كما وقف السلف في إثبات الصفات الإلهية دون ثمة تأويل أو تشبيه، ودون البحث في كيفيه هذه الصفات أم أنه نحا منحى الاتجاه العقلي في تأويله للصفات الإلهية ؟ وهنا تكمن أهمية هذا البحث في تناول قضية الصفات الإلهية عند أحد أهم شخصيات مرحلة النهضة العربية.

ومن وجهة نظر الباحث أن بيان هذه القضية عند رشيد رضا من الأهمية بمكان أن تكشف لنا حقيقة الخلاف الذي دار حول الحكم عليه هل نزع عباءة المدرسة العقلية التي تتلمذ فيها على يد الشيخ محمد عبده؟ أم أنه سار على نهج السلف وشيخ الإسلام "ابن تيمية" في التسليم المطلق بما جاء فى الكتاب والسنة عن الذات الإلهية وصفاتها، دون ثمة تأويل؟

ولا يزعم الباحث أنه صاحب السبق والريادة في هذا المجال، فلقد سبقه العديد من الباحثين الذين قدموا دراسات جادة متنوعة حول رشيد رضا، لكنهم لم يُفردوا قسطًا وافرًا لبيان نزعته السلفية في معالجته للصفات الإلهية، وهنا يكمن المحك الرئيسي فى أهمية هذا البحث.

محاور البحث:

انقسم هذا البحث إلى ستة محاور بالإضافة إلى المقدمة، وأخيرًا جاءت خاتمة البحث وعرض فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، أما عن محاور البحث فجاءت على النحو التالي:

المحور الأول: مسألة الصفات الإلهية في الفكر الفلسفي الإسلامي.

المحور الثاني: أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته عند رشيد رضا.

المحور الثالث: منهج رشيد رضا في فهّم الصفات الإلهية وأثر السلف عليه.

المحور الرابع: النزعة السلفية في تقسيم رشيد رضا للصفات الإلهية.

المحور الخامس: النزعة السلفية في شرح رشيد رضا للصفات الذاتية.

المحور السادس: النزعة السلفية في شرح رشيد رضا للصفات الفعلية.

منهج البحث:

أما عن منهج البحث فإننا نؤثر هنا في معالجتنا لموضوع هذا البحث انتهاج المنهج التحليلي؛ حيث إنه يعدُّ –من وجهة نظر الباحث– أنسب المناهج وأشدها ملائمة لطبيعة الموضوع وغايات البحث.

أولاً- مسألة الصفات الإلهية في الفكر الفلسفي الإسلامي:

لقد تضمن القرآن الكريم أوصافًا لله تعالى، ولم يرد في دواوين الحديث وآثار السلف– كما يقول المقريزي(٧٦٤–٨٤٥هـ)– "أن صحابيًا سأل الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن صفات الله، وإنما اتفقت كلمة الجميع على إثبات صفات أزلية لله من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر وكلام".[٤]

من هنا يتضح لنا أن الصحابة –رضي الله عنهم– قد أثبتوا الصفة دون السؤال عن الكيفية، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل صفة من الصفات الإلهية.

وتجدر الإشارة إلى أن مسألة الصفات الإلهية لم تُثر في الإسلام من قبل المعتزلة– كما يقول ابن حزم(٣٨٤–٤٥٦هـ)–" فهم من اخترع لفظ الصفات وسلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام سلكوا فيها غير مسلك السلف الصالح"[٥] ، ثم صارت مسألة الصفات الإلهية بعد ذلك الوقت مثار جدل وخلاف كبير بين متكلمي الإسلام على اختلاف فرقهم ومذاهبهم.

ويصور لنا "الرازي"(٥٤٤–٦٠٦هـ) ذلك الجدل والنزاع بين المتكلمين حول صفات الله واضطراب العقول في إثبات الصفات ونفيها بقوله:" واعلم أن سبب اضطراب العقلاء في إثبات الصفات ونفيها مقدمتان وقفتا في العقول على سبيل التعارض إحداهما أن الوحدة كمال، والكثرة نقصان، فصارت هذه المقدمة داعية إلى المبالغة في التوحيد حتى انتهى الأمر إلى نفي الصفات، والمقدمة الأخرى أن الموجود الذي يكون قادرًا على جميع المقدورات عالمًا بجميع المعلومات حيًا حكيمًا سميعًا بصيرًا لا شك أنه أكمل من

الموجود الذي لا يكون قادرًا ولا عالمًا ولا حيًا، فصارت هذه المقدمة داعية للعقول على إثبات هذه الصفات".(٦)

ونخلُص مما سبق أنه يُمكننا حصر آراء المتكلمين في الفكر الفلسفي الإسلامي حيال قضية الصفات الإلهية في اتجاهين:

أما **الاتجاه الأول فهو المُثبت للصفات**؛ وهؤلاء قد انقسموا إلى شعبتين: **مشبهة وغير مشبهة؛ فالمشبهة** هم الذين أثبتوا صفات لله تعالى، وبالغوا في إثباتها حتى وقع بعضهم في المحظور؛ حيث شبهوا الخالق بالمخلوق، وخلعوا عليه تعالى كل صفات الإنسان المادية والمعنوية، فكانوا مجسمة، ومن المشبهة أيضًا مَن غالوا؛ فشبهوا المخلوق بالخالق؛ حيث خلعوا على أئمتهم وعلى أنفسهم حينًا صفات إلهية، من خلال اعتقادهم بالحلول(٧). ومن المؤكد أن هاتين الشعبتين في انحرافهم عن الطريق المستقيم ومنهج النبي القويم حيال الصفات الإلهية قد تأثروا بأفكار ومعتقدات اليهود والنصارى والهنود وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى. **وأما الشعبة الثانية من مثبتي الصفات فهم غير المشبهة** وهم على النقيض من المشبهة من مثبتي الصفات، فلقد أثبتوا الصفات لله تعالى على النحو الذي يليق بعظيم جلاله وسلطانه من تنزيه وكمال، بيد أن هذه الشعبة انقسمت إلى فريقين:

الفريق الأول يضم أنصار المدرسة السلفية الذين قالوا: بأن الله تعالى موصوف بكل صفات الكمال منزه عن النقيصة والزوال، صفاته أزلية قائمة بذاتها لا تشبه صفات الخلق بوجه من الوجوه. **وأما الفريق الثاني فيضم الأشاعرة** والذين أثبتوا الصفات الذاتية والمعنوية، ثم تأولوا الصفات الأخرى التي يحمل ظاهرها معانٍ حسية توهم التشبيه.(٨)

هذا عن الاتجاه الأول المُثبت للصفات الإلهية. أما **الاتجاه الثاني، فهو عكس الاتجاه الأول؛ حيث نفى هذا الاتجاه الصفات عن الذات الإلهية.** وانقسموا أيضا إلى شعبتين:

الأولى: نفت كل الصفات عن الذات الإلهية، فلم يثبتوا صفة إيجابية ولا سلبية ويمثل هؤلاء **غلاة الشيعة والذين عُرفوا بالباطنية**، قال عنهم الشهرستاني(٤٧٩-٥٤٨هـ) في" نهاية الأقدام في علم الكلام: "إنهم نفاة الصفات حقيقة، ومعطلة الذات عن جميع الصفات الأزلية القديمة القائمة بذاتها".(٩)

وأما **الشعبة الثانية: فيمثلها المعتزلة** وقد نفت هذه الشعبة الصفات الإلهية، ولكن ليس على غرار ما نفت به الشعبة الأولى؛ ذلك لأنهم لم ينفوها بإطلاق كهؤلاء، فكان قولهم بنفي الصفات القائمة بالذات، وذلك إما بجعلها عين الذات أو أنها محدثة فلا تشارك الذات في أخص خصائصها وهي القدم، وهنا نجدهم جعلوا الصفات عين الذات أو هي الذات وليست شيئًا غير الذات(١) ومن هنا جعل المعتزلة الصفات ليست إلا وجوها واعتبارات للذات، معتقدين أن التوحيد لا يكون إلا بإثبات الصفات على هذا الوجه، غافلين عن أن الذات تتعلق بالوجود العيني، ومن هنا حق القول بأن المعتزلة وإن أثبتوا الصفات، إلا أنهم عطلوا معانيها لذلك أطلق عليهم المُعطلة.(١) وقد رأى هذا الاتجاه النافي للصفات أن في هذا النفي تحقيق الوحدانية للذات الإلهية وتنزيها المُطلق عن المخلوقات البشرية.

ثانيًا-أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته عند "رشيد رضا":

قبل أن نُبين أهمية العلم بصفات الله عند رشيد رضا نود أن نشير إلى أن فكرة الألوهية تُعد قطعًا -كما يقول د/إبراهيم مدكور- من أسمى الأفكار التي وصل إليها الإنسان وهي فكرة سامية بسمو موضوعها.(١) من أجل هذا نجد أن قضية الألوهية بجوانبها الثلاث (الذات- والصفات- والأفعال) قد نالت حظًّا وافرًا من اهتمام العقلية الفلسفية على مر عصورها، ومرجع ذلك أن هذه القضية تُعد من أهم المحاور التي تدور في إطار الموضوعات المتعلقة بالميتافيزيقا، لذلك ليس هناك ثمة دهشة في أن تسيطر هذه القضية على محور اهتمام الفلاسفة والمفكرين على اختلاف عصورهم. وهذا ما أكده

د/عاطف العراقي؛ حيث ذهب إلى" أن جميع الفلسفات قد نهمت على مر العصور في البحث في مشكلة الألوهية، والدارس للتراث الفلسفي الإسلامي يُدرك تمام الإدراك أن البحث في الجانب الإلهي قد استغرق اهتمام أكثر الباحثين والمفكرين في هذا المجال".( )

ولم يكن "رشيد رضا" بمنأى عن هؤلاء المفكرين؛ فلقد أولى اهتماما كبيرًا بقضية الإلوهية وخاصة الجزء الخاص المتعلق بالصفات الإلهية، لذلك نجده في أشهر مصنفاته "تفسير المنار" قد أفرد لهذه القضية قسطًا وافرًا من العناية بيّن فيه أهمية هذا العلم وفائدته

وفي هذا الصدد يقول: "أما العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله فهو معراج الكمال الإنساني"( )، وفي مجلة المنار يقولُ رشيد رضا:"... وإن من أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته."( ) ٥ ١

ويستطرد "رشيد رضا" في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى قائلا: "وقد فطن لهذا بعض حكماء العلماء فقال أبو حامد الغزالي في بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة من كتاب العلم في الإحياء: وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وصفاته ... فإن هذا علم مطلوب لذاته.( ) ٦

من هنا يتضح لنا أن "رشيد رضا" يؤكد على أهمية العلم بصفات الله تعالى؛ حيث راح يؤكد على أن أسمى ما يجنيه المرء من معارف في هذه الدنيا يكمن في معرفته لصفات خالقه ومولاه، ويشير إلى أن محور الكمال الإنساني إنما يتأتى عن طريق التعرف على صفات الله، ويُضيف إلى أن الحكماء من العلماء قد فطنوا إلى ذلك الأمر، ويضرب مثالا لهؤلاء العلماء الذين فطنوا لذلك الأمر بـ"أبي حامد الغزالي(٤٥٠-٥٠٥هـ)".

هذا عن أهمية العلم بالصفات الإلهية عند رشيد رضا، وأما عن فائدة العلم بالصفات الإلهية نجد رشيد رضا ذهب إلى القول: "والذي يجب ألا يُختلف فيه هو أن هذه الآيات- التي تخص الصفات الإلهية- ما أُنزلت عبثًا بل جاءت على أساليب لسان العرب حسبكم من فائدتها أنها تفيض على الأرواح من خشية الله وقوة الإيمان بعظمته وسلطانه ما يطهرها من الرجس، ويجذبها إلى عالم القدس، ويبغض إليها الرذائل، ويحبب إليها الفضائل تقربًا إلى الله تعالى وطلبا لما عنده".( ) [٧]

من خلال هذا النص يتضح لنا مكانة وأهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته عند "رشيد رضا"، حيث ذهب إلى أنه بكفينا من فوائد المعرفة بصفات الله أن هذه المعرفة تفيض على أرواحنا الخشية من الله وقوة الإيمان بعظمته وتحقيق معنى العبودية الكامل له سبحانه جل في علاه من خلال التقرب إليه وطلباً لما عنده جل شأنه.

وهنا نلمح في عبارات "رشيد رضا" اقتفائه آثار السلف في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته، وهذا ما أشار إليه جمعٌ كبير من السلف في مصنفاتهم ومن هؤلاء السلف شيخ الإسلام ابن تيمية- وقد تأثر به "رشيد رضا" كثيرا بعد ما اطلع على مصنفاته-؛ حيث وضّح في العديد من مؤلفاته على أهمية العلم بصفات الله تعالى، وأن علم الأسماء والصفات هو أصل الدين وسر العبودية، وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية: "فإن معرفة هذا -يقصد العلم بصفات الله تعالى- أصل الدين وأساس الهداية وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول".( ) [٨]

وإلى نفس هذا المعنى ذهب "ابن القيم"(٦٩١-٧٥١) إلى القول: "اعلم أن سر العبودية وغايتها وحكمتها إنما يطّلع عليها من عرف صفات الرب -عز وجل- ولم يعطلها".( ) ويستطرد ابن القيم موضحًا أنه إذا كان العلم بالله تعالى هو أشرف علوم الخلق فإن أعظم العلم به سبحانه هو العلم بأسمائه وصفاته وأن معرفة صفات الله هو قطب السعادة ومدار النجاح والفلاح.( ) [٩٠٢]

ولقد أشار في موضع آخر أن باب الصفات "إنما يدخل منه خواص عباده وأوليائه فعمدة إيمانهم محبة تنشأ من معرفة الكمال ومطالعة الأسماء والصفات."( ) وجاء في شرح الطحاوية في أهمية العلم بصفات الله تعالى أنه "لاحياه للقلُوب، ولا نعِيم ولا طمأنِينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبوُدها وفاطرها بأسمائه وصفاته".( ) ٢

وقد ذهب "العز ابن عبد السلام" (٥٧٧-٦٦٠هـ) في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى إلى القول: "اعلم أن معرفة الذات والصفات مُثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات يُثمر حالًا عليه أثر وأقوال سنية وأفعال رضية".( ) ٢ ٣

نخلُص من هذه النصوص إلى مدى أهمية العلم بصفات الله عند السلف، وحرصهم على بيان أن التعرف على صفات الله هو الطريق الذي يصل به المرء إلى النجاة والفلاح في الدارين؛ لأنه كلما ازداد العبد معرفة بصفات الله زادت خشيته له سبحانه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ **[فاطر:٢٨]** هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن القول: إنه إذا كان شرف العلم من شرف المعلوم فإن أشرف العلوم قاطبة هو العلم بالله وبصفاته العُلى.

ثالثا- منهج رشيد رضا في فهّم الصفات وأثر السلف عليه:

قبل أن نتطرق في بيان منهج رشيد رضا في فهّم الصفات نعرض أولا لمنهج السلف في معالجة للصفات الإلهية حتى يتسنى لنا الوقوف على أثر السلف على منهج رشيد رضا في فهمه للصفات.

وفي هذا الصدد يقول أبي عثمان بن إسماعيل الصابوني (٣٧٣-٤٤٩هـ) في كتابه عقيدة السلف وأهل الحديث:" أصحاب الحديث – حفظ الله أحياءهم ورحم موتاهم – يشهدون لله بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه."(٤ ٢)

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام "ابن تيمية"؛ حيث رأى أن منهج السلف في الصفات هو "أن يَوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فُيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ... فالله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مُجمل فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل".(٥ ٢)

من هذا يتضح لنا أن شيخ الإسلام "ابن تيمية" راح يؤكد على أن منهج السلف في الصفات الإلهية هو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات ومعانيها من غير تمثيل وتنزيهًا من غير تعطيل.

وفي هذا الصدد يقول "ابن القيم": " قد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانًا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلًا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلًا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالًا، ولا ضربوا لها أمثالًا ".(٦)

وهذا يؤكد لنا التزام السلف رحمهم الله بما ألزمهم الله سبحانه وتعالى وما أمرهم به رسوله صلى الله عليه وسلم، من الاعتماد على القرآن والسنة في سائر شؤونهم وتأتي قضية الصفات الإلهية في صدارة القضايا التي التزم فيها السلف بالنص الشرعي،من كتاب وسنة، فما ورد فيه نص شرعي صحيح عن الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أخذوا به على ظاهره، فهم يجعلون النقل دائمًا في الصدارة في الحكم على الأمور العقدية، بيد أنهم لا يرون وجود تعارض بين النص الشرعي وبين العقل ذو الفطرة السليمة، وإن وجد هذا التعارض، فالمُتصدر في هذه الحالة حسب منهجهم هو النقل، وهنا يكون دور العقل مُجرد شارح لما جاء به ظاهر النص الشرعي، وفهم المقصود منه.

وسوف نجد ما يؤكد التزامهم بظاهر النص من كتاب وسنة، من خلال بيان منهجهم في معالجتهم للصفات، وتتضح قواعد هذا المنهج جليا من خلال النظر في كتبهم المصنفة.(*) حيث يُلاحظ الناظر فيها أن السلف أثبتوا كل ما ورد في كتاب الله عز وجل من صفاته وما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، دون ثمة تشبيه أو تأويل وإنما تقبلوا الصفات على ظاهرها، إذن فلا يصح وفق منهج السلف" أن يتحكم العقل في قبول ظاهر النص، وتأويله ليكون موافقًا لتوجه العقل."( )

وقد ثبت عنهم الكثير من الروايات التي توضح موقفهم ومنهجهم في صفات الله عز وجل. ومن هذه الروايات ومنها، ما قاله الوليد بن مسلم (١١٩-١٩٥هـ) :" سألت الأوزاعي ومالكا وسفيان وليثًا عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمروها بلا كيف ".وقيل لسفيان بن عيينة (١٠٧-١٩٨) :هذه الأحاديث التي تروى في الصفات فقال:" حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه نمرها كما جاءت بلا كيف ".( )

من هنا يتضح أن منهج السلف في الصفات قائم على الالتزام بظاهر النص من كتاب وسنة دون ثمة تشبيه ولا تكييف، ومن هنا يُمكننا أن نحدد الأسس المنهجية في معالجة السلف للصفات الإلهية من خلال هذه القواعد :

القاعدة الأولى : الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى نفيًا وإثباتًا على الحقيقة لا على المجاز.

القاعدة الثانية : نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات.(التنزيه).

القاعدة الثالثة : قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الباري جل وعلا بالصفات (عدم تأويل النقل أي تفويض الكيفية على أن التفويض إنما هو في الكيفية وليس في المعنى).

القاعدة الرابعة: تقديم النقل على العقل. ( )

هذه هي القواعد المنهجية في معالجة السلف للصفات الإلهية، وهنا نود أن نشير إلى مجموعة من النقاط:

النقطة الأولى أن السلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام في الصفات الإلهية" عجزا عنه ولا انقطاعا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تحققوا من فتنتها وحذروا من سوء مغبتها، وقد كانوا على بينّة من أمرهم، وعلى بصيرة من دينهم لما هداهم الله من توفيقه فروأ أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوقيف السنه وبيانها غناء ومندوحة عمّا سواهما.( )

مع الوضع في الاعتبار أن عدم العلم بكيفية الصفات لا يعني نفيها أو القدح في الإيمان بها وإثباتها. لأن الله عز وجل أخبرنا في كتابه أو على لسان رسوله بالصفة ولم يخبرنا بالكيفية وطلب منا الإيمان بها ولا اشكالية في ذلك لأن هناك مخلوقات عديدة نؤمن بها من مخلوقات البارئ عز وجل ونحن لا ندرك كيفيتها، وأقرب مثال على ذلك هذه الروح التي يضمها الإنسان بين جنباته وبالرغم عن ذلك فالإنسان عاجز عن معرفة كنهها وحقيقتها مع أنه على يقين بوجودها، وقد أخبرنا الله بها في قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ **[الإسراء:٨٥]** فأخبرنا عن الروح ولم يعطنا عن كيفيتها علما فنحن نؤمن بها بدون أن نعرف كيفيتها.

وهذا لا يقدح في إيماننا بها، ولله المثل الأعلى فجهلنا بكيفية صفات الله لا ينفيها ولا يقدح في إيماننا بها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن من خاض في كيفية صفات الله فقد افترى على الله عز وجل، وذلك من منطلق أن الله جل شأنه أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها فبالتالي من كيّف صفات الله فقد افترى على الله عز وجل. وهنا يقول ابن القيم عن جمع كبير من السلف" إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه".( )

ومن هنا فإن السلف كما يقول البعض إنما يقدمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية إيمانا منهم بأن الله أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب من عنده، وكلفهم ببيان ما يحتاج إلى البيان "لأمر له شأنه" وهو أن ما جاء في هذه الكتب وبلغته الرسل يغني عن كل شيء وأما غيره فلا يغني عنه. هذه النقطة هي" سر المسألة في الصفات الإلهية."( )

أما عن النقطة الثانية فيتضح لنا من خلال ما أفردناه حول مسألة الصفات في الفكر الفلسفي الإسلامي ومن خلال عرضنا لمعالجة السلف لقضية الصفات الإلهية أن منهج السلف كما يقول شيخ الإسلام "ابن تيمية" وسط" بين التعطيل(*) وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فيعطلون أسمائه الحسنى وصفاته العلى ويحرفون الكلم عن مواضعه ".( )

أما عن النقطة الأخيرة فتكمن في أن المدرسة السلفية بقيت دون منهج يجمعها حتى جاء ابن تيمية، في القرن الثامن الهجري، فنسّق منهجهم، ووضع له أسسه وقواعده ولذلك قيل عنه :ترجمان السلف.( ) وهذا المنهج الذي ضمنّه ابن تيميه في مؤلفاته والتي اطلع عليها رشيد رضا كان له عظيم الأثر في نزعته السلفية حيال قضية الصفات الإلهية.

وسنقوم الآن في بيان هذه النزعة من خلال عرضنا لموقف "رشيد رضا" من معالجة السلف للصفات الإلهية على النحو الذي أفردناه آنفا، وقبل أن نتطرق لهذا الموقف نعرض أولا مفهوم مذهب السلف عند "رشيد رضا" وفي هذا الصدد يقول" المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم أئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعُرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي بالبدعة أو شهر بقلب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والجبرية والجهمية والمعتزلة."( ) وفي موضع آخر يُعرف[٥] "رشيد رضا" السلف بإنهم" من يتبعون في آيات الصفات التفويض."( ) [٦]

من خلال هذا النص يتضح لنا أن رشيد رضا يُعرف السلف بأنهم من يُثبتون الصفات للذات الإلهية ويُفوضون كنهها أو كيفياتها.

وبعد أن قام "رشيد رضا" بوضع تعريف لمذهب السلف راح يُثني عليه قائلًا" فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الأمة المُقدمين .... مذهب السلف هو المذهب المنصور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ولكل مكرُمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر ... فمن المُحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقول بعض من لا تحقيق لديه ممن لا يُقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين حق المعرفة المأمور بها ".( ) [٧] [٣]

من خلال هذا يتضح لنا أن "رشيد رضا" يرى أن منهج السلف في التعامل مع الصفات الإلهية هو الحق البيّن الثابت وهو منهج الأئمة الثقات. ويشير إلى أن مذهب السلف هو المذهب المنصور وأنصاره هم الفرقة الناجية الفائزة بكل مكرُمة الراجية لشفاعة النبي وورود حوضه صلى الله عليه وسلم ويؤكد "رشيد رضا" على أنه من المستحيل أن يكون الخلف أعلم من السلف ومن لايعرف قدر السلف فما عرف الله تعالى ولا رسوله.

وقد أرجع "رشيد رضا" نسب مذهب السلف إلى الإمام أحمد بن حنبل وفي هذا الصدد يقول" سيدنا وقدوتنا الأمام المُبجل والحبر البحر المُفضل أبو عبد الله الأمام أحمد بن محمد بن حنبل نُسب مذهب السلف إليه. "(٨)

هذا عن مفهوم مذهب السلف ونسبه عند محمد "رشيد رضا" والآن ننتقل لبيان موقفه من معالجة السلف لقضية الصفات الإلهية وفي هذا الصدد يقول" اعلم أن ما تلقيناه في كتب العقائد... أن للمسلمين في الآيات والأحاديث المتشابهات في الصفات مذهبين مذهب السلف وهو الإيمان بظاهرها مع تنزيه الله تعالى عمّا يوهم ذلك الظاهر وتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى ومذهب الخلف وهو تأويل ما ورد في النصوص في ذلك بحمله على المجاز والكناية ليتفق العقل مع النقل ". (٩)

أما أولئك الذين يرون طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم فهؤلاء كما يقول "رشيد رضا"" قد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف في الكذب عليهم وضلوا في تصويب طريقة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه وذلك بمنزلة الأميين وأن طريقة الخلف هي استخراج المعاني المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن فاسد ... فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم ".(٤)

ويستطرد "رشيد رضا" بعد هذا التقسيم الذي ذكره حيال موقف المسلمين تجاه قضية الصفات الإلهية إلى إقراره بمنهج السلف في معالجة الصفات الإلهية وفي هذا الصدد يقول" وقالوا أن مذهب السلف أسلم لجواز أن يكون ما حمل عليه ألفاظ المتشابه غير مراد الله تعالى ومذهب الخلف أعلم لأنه يُفسر النصوص جميعها ويحمل بعضها على بعض فلا يكون صاحبه مضطربا في دينه....وكنا نظن في أوائل الطلب أن مذهب السلف ضعيف وأنهم لم يؤولوا كما أول الخلف لأنهم لم يبلغوا مبلغهم من العلم ولمّا

تغلغلنا في الكلام وظفرنا في الكتب التي تُبين مذهب السلف حق البيان لاسيما كتب "ابن تيمية" علمنا علم اليقين أن مذهب السلف هو الحق الذي ليس وراءه غاية ولا مطلب وأن كل من خالفه فهو ظنون وأوهام لا تُغني من الحق شيئًا."( ) [١]

وإلى نفس هذا المعنى في موافقة "رشيد رضا" لمنهج السلف في معالجة الصفات الإلهية ذهب "رشيد رضا" إلى القول في مجلة المنار المجلد الثامن في باب العقائد" كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى أن كتب الأشاعرة هي وحدها كتب منبع الدين وطريق اليقين ثم اطلعنا على كتب القوم– يقصد كتب السلف– فإذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المُثلى، وتورد الناس موردهم الأحلى، وإذا بقارئها يشعر ببشاشة الإيمان،ويحس بسريان برد الإيقان، وإذا الفرق بينها وبين كتب الأشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لُجي، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتتجاذبه تيارات المباحث النظرية وقد ظهر لي إذ تبينت أن مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم "( ) [٢] [٤]

ثم ينتقل "رشيد رضا" بعد اقراره ويقينه بأن منهج السلف في معالجة الصفات الإلهية هو المنهج الحق والأصلح والأسلم والأعلم والأحكم إلى اقتفاء آثار السلف في قواعدهم المنهجية التي ارتكزوا عليها في معالجتهم للصفات الإلهية –والتي آشرنا إليها آنفا– وفي هذا الصدد يقول" ...وأن هذا وغيره مما وصف به نفسه في كتابه، لا ينافي كمال تنزيهه تعالى عمّا لا يليق به من نقائص عباده ولا يقتضي مماثلته لهم... فذاته تعالى أكمل من ذواتهم، ووجوده أعلى من وجودهم، وصفاته أسمى من صفاتهم، وهو أعلم ورسوله أعلم منهم بصفاته وأفعاله فعليك أن تؤمن بما صح عنهما من اثبات ونفي، من غير زيادة ولا نقص، بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل وليس عليك ولا لك أن تُحكم رأيك وعقلك في كنه ذاته ولا صفاته.... على هذا كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وعلماء التابعين وأئمة الحديث والفقه قبل ظهور بدعة المُتكلمين "( ) [٣]

من خلال هذا النص يتضح لنا متابعة "رشيد رضا" لمنهج السلف في تقرير مذهبهم تجاه الصفات الإلهية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "رشيد رضا" قد أكد على أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية مع التنزيه هي الثابتة عقلا ونقلا وفي هذا الصدد يقول" فقاعدة السلف في جميع الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله أن نثبتها له ونمرها كما جاءت مع التنزيه عن صفات الخلق الثابت عقلًا ونقلًا بقوله عز وجل "ليس كمثله شيء" فنقول أن لله علمًا حقيقيًا هو وصف له ولكنه لا يشبه علمنا، وأن له سمعًا حقيقيًا هو وصف له لا يشبه سمعنا... وهكذا نقول في سائر صفاته تعالى فنجمع بذلك بين النقل والعقل ".(٤ ٤)

من هنا يتضح لنا أن رشيد رضا يُطبق القاعدة الاولى والثانية من قواعد السلف في التعامل مع الصفات الإلهية وهما: الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى نفيًا وإثباتًا ونفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات.

وفي موضع آخر يشير رشيد رضا على أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية هي الطريقة المُثلى التي تجمع بين النقل والعقل وفي هذا الصدد يقول" وإنما الطريقة المُثلى في الجمع بين العقل والنقل في الصفات أن يُقال إنه قد ثبت بهما أن الله ليس كمثله شيء، وثبت عقلًا أن خالق العالم لابد أن يكون متصفًا بصفات الكمال، وثبت نقلا عن الوحي الذي جاء به الرسل وصفه تعالى بالعلم والقدرة والرحمة والمحبة والعلو فوق الخلق كله والإستواء على العرش وتدبير أمر العالم كله فنحن نتخذ قوله تعالى(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) قاعدة ومرآة لفهم جميع ما وصف الله به تعالى نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أنه ليس كمثله شيء".( )

وهنا يتضح لنا أن "رشيد رضا" يؤكد على أن منهج السلف في معالجة الصفات قد جمع بين العقل والنقل وأنه لا تعارض بينهما وهنا نجد تأثر رشيد رضا بشيخ الإسلام "ابن تيمية" حيث أن شيخ الإسلام قد فصل القول في هذه المسألة في كتابه درء تعارض العقل والنقل.(٦ ٤)

وهنا نود أن نشير إلى أنه إذا كان من المقرر سلفا لدى العقلاء –كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– أن صفات كل موصوف تُناسب ذاته وحقيقته، "فإذا كان إثبات الذات لله تعالى إنما هو إثبات وجود وإيمان، لا إثبات تحديد وكيفية، فكذلك إثبات صفاته تعالى إنما إثبات وجود وإيمان، لا إثبات تحديد وكيفية، بناء على القاعدة أن القول في صفات الله تعالى كالقول في الذات". (٧ ٤)

رابعًا- النزعة السلفية في تقسيم "رشيد رضا" للصفات الإلهية:

قبل أن نخوض في بيان تقسيم "رشيد رضا" للصفات الإلهية نود أن نشير في عجالة إلى تقسيم الصفات الإلهية عند السلف حتى يتسنى لنا الوقوف على النزعة السلفية عند "رشيد رضا" في تقسيمه للصفات وفي هذا الصدد يمكن القول أن السلف كما يقول البعض لم يتوسعوا في تقسيم الصفات وتنويعها، إذ ليس من عاداتهم الإسراف في الكلام في المطالب الإلهية، بل لا يكادون يتجاوزون الكتاب والسنة في مبحث الصفات.( )

وعلى الرغم من كثرة الصفات الإلهية التي وردت في القران الكريم أو جاءت في السنة النبوية المطهرة، فإن السلف قاموا بتقسيم الصفات الإلهية إلى قسمين:( )

أولا الصفات الذاتية، وهي الصفات التي لا يُتصور وجود الذات بدونها،أو هي ما ترجع إلى نفس الذات ولا تنفك عنها :كالحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والكلام وغيرها، وضابطها: كل صفة لم يزل الله ولا يزال متصفًا بها، فإنها من الصفات الذاتية؛ لملازمتها للذات وهذه الصفات إمّا أن تكون عقلية،وهي التي يمكن إدراكها بالعقل مثل: العلم والقدرة، والإرادة، وإما أن تكون خبرية، وهي الصفات التي لو لم يرد بها الشرع، لما

كان العقل مدركًا لها. وضابطها: هي التي نعتمد فيها على مجرد الخبر، وليست من المعاني المعقولة، بل هي من الأمور المدركة بالسمع المجرد فقط، مثل الوجه واليدين والقدم وغيرها.

ثانيا الصفات الفعلية: وهي الصفات المتعلقة بالقدرة والإرادة، إن شاء الله فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها، وضابطها: كل صفة تتعلق بمشيئة، يفعلها الله حيث اقتضتها حكمته، فإنها من الصفات الفعلية، وهذه الصفات كذلك إما أن تكون عقلية، مثل: الإحياء، والإرزاق وإما أن تكون خبرية أي لولا ورودها في الخبر، لم يصل إليها العقل، مثل: الاستواء، والنزول، والغضب، والرضا.

أما صفة الكلام فلقد ذهب السلف إلى أنها من صفات الذات باعتبار أصل الصفة، ومن صفات الأفعال باعتبار أنواع الكلام وأفراده، فهم يذهبون إلى أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وما تكلم به فهو قائم به، ليس مخلوقًا منفصلًا عنه، فكلام الله تعالى مُنزل غير مخلوق.( )

هذا باختصار عن تقسيم الصفات عند السلف والآن نقوم ببيان تقسيم رشيد رضا للصفات الإلهية للوقوف على نزعته السلفية حيال هذا التقسيم، وفي هذا الصدد يُمكن القول أن "رشيد رضا" قد اقتفى آثار السلف في تقسيمهم للصفات ويتضح ذلك جليا من خلال ما ذكره في تفسيره لسورة الفاتحة حيث ذهب الى القول "وأما دلالة صفتي الربوبية والرحمة على جميع معاني صفات الأفعال الإلهية فظاهر فإن رب العباد هو الذي يُسدي إليهم كل ما يتعلق بخلقهم ورزقهم وتدبير شئونهم ....إذا علمنا هذا تجلت لنا حكمة وصف الله تعالى في أول فاتحة الكتاب العزيز بالربوبية والرحمة الدالتين على جميع صفات الأفعال دون الحياة والقيومية الدالتين على صفات الذات".( )

وتجدر الإشارة إلى أن رشيد رضا قد رأى أن ذلك التقسيم الذي وضعه السلف للصفات الإلهية هو الأسلم والأعلم ولذا اختاره وفي هذا الصدد يقول "وإنما نختار طريقة السلف الصالحين فهي باتفاق الخلف أسلم وأحكم ونقول أيضا أنها أعلم" .( )

ولا يكتفي "رشيد رضا" بالثناء على ذلك التقسيم الذي وضعه السلف للصفات الإلهية وإنما يرى أن ما دون ذلك من تقسيمات كثيرة للصفات وضعها المتكلمون ما أنزل الله بها من سلطان، وفي هذا الصدد يقول عن هذا التقسيم الذي وضعه المتكلمون "يقسمون الصفات إلى صفات ذات وصفات أفعال ويقسمونها باعتبار آخر إلى محكمات ومتشابهات ويقسمون صفات الذات إلى نفسية ومعاني معنوية وقالوا أن الوجود هو الصفة النفسية وأنه لا صفة نفسية سواه.... على أن هذا الاصطلاح ما أنزل الله به من سلطان ولم يقم عليه في العقل حجة ولا برهان" .( ) ٣ ٥

وفي موضع آخر يؤكد رشيد رضا أن هذا التقسيم الذي وضعه المتكلمون للصفات يتوهم البعض أنه يعطي الباحث بصيره بيد أنه في رأي "رشيد رضا" يجعل الباحث أكثر تخبطا في مجال العقيدة، وفي هذا الصدد يقول "رشيد رضا" "كثيرين يتوهمون أن هذه الاصطلاحات في علم العقائد تعطي الباحث بصيرة وتكون أعون له على الفهم وأقرب إلى البصيره والبرهان وأننا نعتقد اعتقادًا يويده الاختبار والمشاهدة أن الذين يأخذون عقيدتهم من هذه الاصطلاحات أكثرهم يتخبط في ظلمات الحيره".( )

من جملة النصوص السابقة يتضح لنا وبصورة جليه النزعة السلفية عند "رشيد رضا" في تقسيمه للصفات الإلهيه على غرار ذلك التقسيم الذي وضعه السلف ويمكننا أيضا تلمس هذه النزعة السلفية عند رشيد رضا من خلال بيان منهجه في إثبات الصفات الإلهية.

وقبل أن نتطرق في عرض ثبوت الصفات الإلهية عنده نود أن نلقي الضوء في عجالة أولا على منهج إثبات الصفات عند السلف حتي يتسنى لنا الوقوف على نزعة "رشيد رضا" السلفية في اثباته للصفات الإلهية.

وفي هذا الصدد يمكن القول أن السلف قد وضعوا ركيزة أسسوا عليها منهجهم في إثبات الصفات، هذه الركيزة تتمثل في أنه من الواجب علينا في إثبات الصفات الإلهية البُعد عن محذورين كبيرين هما التمثيل بخلقه وكيفية صفاته وانطلاقا من هذين المحذورين ذهب السلف إلى أن صفات الرب تعالى من حيث ثبوتها تنقسم إلى نوعين النوع الأول: "الصفات الشرعية العقلية، وهي التي يشترك في إثباهتا الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي والفطرة السليمة مثل العلم والقدرة، والإرادة. والنوع الثاني: الصفات الخبرية وتسمى النقلية والسمعية، وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، أو الخبر عن الله، أو عن رسوله الأمين عليه الصلاة والتسليم، أي لا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباتها، لولا الأخبار المنقولة عن الله ، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي خبرية محضة بيد أن العقل السليم لا يعارض فيها الخبر الصحيح وأمثلتها كاليد والاستواء والوجه والقدم والنزول والمجيء والضحك". ( )[٥]

ومنهج السلف في إثبات الصفات الخبرية هو الإيمان بهذه الصفات على ظاهرها ولا يؤولونها كما فعلت المدرسة العقلية والكلامية. فهم يأخذون بالمعنى الظاهر من النص لهذه الصفات الخبرية.

هذا باختصار عن منهج السلف في إثبات الصفات الإلهية وقد قرر "رشيد رضا" هذا المنهج في إثبات الصفات الإلهية وفي هذا الصدد يقول "أن صفات الربوبية منها ما يُعرف بالنظر والاستدلال كعلمه تعالى وقدرته ومشيئته وحكمته ومنها ما لا يُعرف به بل يتوقف على الوحي وخبر المعصوم عنه".( )[٦]

من خلال هذا النص يتضح لنا أن "رشيد رضا" قد حدد طريقة إثبات الصفات وإنها إما بالوحي (القرآن والسنة) أو بالنظر والاستدلال عن طريق العقل وهذه هي طريقة السلف في إثبات الصفات كما أفردنا أنفا.

خامسًا- النزعة السلفية في شرح "رشيد رضا" للصفات الذاتية:

لقد أفرد رشيد رضا في مؤلفاته العديد من الصفات الإلهية-بشقيها الذاتية والفعلية-ويطول بنا المقام لو عرضنا كل الصفات الإلهية التي أوردها في مؤلفاته، لذا سنقوم في هذا المحور بعرض نموذجين من الصفات الذاتية التي عرضها رشيد رضا في مؤلفاته لاسيما الصفات التي كانت وما زالت مثارا للخلاف بين السلف ومن سار على نهجهم وبعض الفرق الكلامية الأخرى كالمعتزلة والجهمية، ونظرا لطبيعة هذا البحث سنُسلط الضوء في عجالة حول موقف السلف من هذين النموذجين للصفات الذاتية حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعته السلفية في عرضه لهذه الصفات الذاتية.

وقبل أن نخوض في ذلك نعرض أولا لمفهوم الصفات الذاتية عنده وفي هذا الصدد يقول رشيد رضا "ما له مبدأ خاص في النفس واستقرار فيها جدير بأن يُسمى صفة ذاتية".( ) من هذا يتضح أن رشيد رضا وضع مفهومًا للصفات الذاتية على غرار مفهوم السلف حيث ذهب إلى أن الصفات الذاتية هي ما ترجع إلى نفس الذات ولا تنفك عنها أو هي الصفات التي لا يُتصور وجود الذات بدونها.

صفة السمع والبصر:

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي أثبتت صفتي السمع والبصر لله جل شأنه ومنها على سبيل المثال قوله تعالى﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ **[المجادلة: ١]**

وقوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **[الشورى: ١١]**

وقولـه تعـالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ **[الزخـــرف: ٨٠]**، وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ **[غافر: ٤٤]**

وكذلك ورد في السنة النبوية عدد من الأحاديث التي أثبت صفتي السمع والبصر لله جل شأنه ففِي صحيح الْبُخَارِيّ فِي بَابِ: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(أربِعُو على أنفُسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا تدعون سميعا بصيرا) وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾( ) هذه كانت أمثلة من النقل(القرآن والسنة) على ثبوت صفتي السمع والبصر للذات الإلهية.

ولقد أثبت السلف رضوان الله عليهم هاتين الصفتين للذات الإلهية، فالذي عليه السلف كما هو مُدون في مصنفاتهم(*) أن السمع والبصر من الصفات الذاتية لله تعالى؛ فهو جل شأنه يسمع الصوت عند وقوعه ويعلم به قبل وقوعه ،ويرى الشيء عند وجوده، ويعلم به قبل وجوده فمعنى كونه تعالى سميعًا بصيرًا أنّ جميع المخلوقات التي يصحّ أنّها تُسمع سبحانه وتعالى سميعا بها وجميع المخلوقات التي يصحّ أنّها تُبصر جل شأنه بصيرًا بها،وكيف لا وهذه المسموعات وتلك االمُبصرات من مخلوقاته جلّ في علاه !!

يقول شيخ الإسلام "ابن تيمية" "وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ودلائل العقل على أنه سميع بصير، والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم، فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه، وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم." ( ) [٩]

وطبقا لمنهج السلف فإن أصل الصفتين القدم لأن الصفات لا تنفك عن الذات؛ فلم يزل الله سميعا بصيرا. والواجب طبقا لهذا المنهج "الوقوفُ عند حدِّ الوحي وما نطق به، دون تدقيقٍ أو تكلُّفٍ في الفهم "فيُثبتون لله السمع والبصر بلا تكييف كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه وأثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم".( ) .

من هنا يتضح لنا القاعدة الأولى من قواعد المنهج السلفي والتي أشرنا إليها آنفا في معالجة السلف للصفات الإلهية وهي الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى نفيًا وإثباتًا على الحقيقة لا على المجاز فهم يُثبتون لله السمع والبصر كما أثبته لنفسه جل في علاه مع الوضع في الاعتبار أن سمع وبصر الخالق جل شأنه وتبارك اسمه يختلف عن سمع وبصر المخلوقين وهذه هي القاعدة الثانية من قواعد المنهج السلفي والتي تتمثل في نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات(التنزيه).

هذا باختصار عن موقف السلف تجاه صفتي السمع والبصر للذات الإلهية، وإذا انتقلنا الآن إلى "رشيد رضا" لمعرفة موقفه حيال صفتي السمع والبصر نجده في هذا الصدد يستهل حديثه بالقول "الواجب اعتقاده هو الوقوف عند ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وهو أن الله تبارك وتعالى سميع لأقوال العباد بصير بإعمالهم وأحوالهم من غير بحث في كنه هذا السمع وهذا البصر وكيف يحصلان.( )

من خلال هذا النص يتضح أن "رشيد رضا" يؤكد على أنه من الواجب على المرء في هذا الباب الوقوف عند ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من التسليم بأن لله سمعًا وبصرًا دون البحث في كيفية هذا السمع وذلك البصر.

وبعد إثبات "رشيد رضا" لصفتي السمع والبصر للذات الإلهية على غرار المنهج السلفي في إثبات السمع والبصر لله بلا تكييف كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه وأثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم راح يؤكد على القاعدة الثانية من قواعد المنهج السلفي والتي تتمثل في نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق في الصفات وهي تنزيه الله سبحانه وتعالي عن سمع وبصر المخلوقات وفي هذا الصدد ذهب إلى القول" .... أنه سميع بسمع ليس كمثل أسماع المخلوقين، وبصير ببصر ليس كبصرهم ".( ) ٢

ويستطرد "رشيد رضا" في بيان نزعته السلفية من خلال تأكيده على أن اعتقاد السلف حيال صفتي السمع والبصر هو الأسهل فهمه وتقبله سواءً بالنسبة للرجل العامي

أو الرجل الحكيم بخلاف هذه التحليلات الغير مفهومة التي وضعتها بعض الفرق الكلامية تجاه هاتين الصفتين هذه التحليلات التي يصعُب فهمها على العوام وتكون مثارًا للشبهات عند الخواص. وفي هذا الصدد ذهب إلى القول:" بأن الله تعالى عندما أخبرنا بسمعه وبصره ابتدأ بتنزيهه عن مشابهة أي شئ من الأشياء فقال عز من قائل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهذا الاعتقاد يسهل فهمه وقبوله على الجهول والعليم والعامي البليد والفيلسوف الحكيم، وأما تلك التحليلات والتعميقات فإنها تتعاصى على أفهام العامة وتكون مثار الشبهات عند الخاصة ولا يليق هذا بدين الفطرة والحنيفية السمحة ".(٣ ٦)

واقتفاءًا أيضا لآثار السلف نجد "رشيد رضا" يؤكد على أن أصل هاتين الصفتين القدم فنجده عند تفسيره لقوله عز وجل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ يقول:" أي كان السمع والعلم ولا يزالان من صفاته الثابتة فلا يفوته تعالى قول من أقوال من يجهر بالسوء، ولا يعزب عن علمه السبب الباعث له عليه لأنه لا يخفى عليه شيء من أقوال العباد ولا من أفعالهم ولا نياتهم فيها".(٤ ٦)

وختامًا يرى رشيد رضا أن تقرير منهج واعتقاد السلف تجاه هاتين الصفتين له ثمار عديدة داخل نفوس وقلوب العباد ومن أهم هذه الثمار التي يجنيها العبد من اقتفاء آثار السلف بخصوص هاتين الصفتين الحياء من الله تعالى الذي يُبصر أفعال عباده ويسمع سرهم ونجواهم، وفي هذا الصدد يقول رشيد رضا: "من أراد أن يُطيل الكلام في مثل هذا المقام– يقصد صفتي السمع والبصر للذات الإلهية – فالأولى له أن يستعين بهذا الاعتقاد– اعتقاد السلف – على إنذار الغافلين من العباد فيستثير العبرة من أعماق القلوب ويستنزل العبرة من سماء العيون وينبه النفوس إلى الحياء من الله تعالى أن يراها حيث نهاها فيكون عندها أهون الناظرين وأن يسمع منها ما لا يرضاه فإنه لا يحب الجهر بالسوء من القول ذلك ما كان يفهمه العرب من إطلاق الصفات القدسية وهذا هو التأثير

الذي كان يودعه في قلوبهم وهذا الذي يليق بحكمته تعالى وجلاله ويجعل دينه مُصلحا للنفوس ومُثقفا للعقول بتذكيرها بمراقبته وحملها على خشيته".( ) ٥

صفة الرؤية :

تُعد صفة رؤية الله تعالى من أهم الصفات التي كانت مثارا للخلاف بين السلف والفرق الكلامية، لذا قبل أن نتطرق في معالجة "رشيد رضا" لهذه الصفة وبيان موقفه نود أن نستهل الكلام في رؤية الله تعالى، إلى بيان أن هناك من الفرق الكلامية كالمعتزلة والجهمية ومن تبعهم ذهبوا إلى أن رؤية الله تعالى بالعين الإنسانية مستحيلة وممتنعة فالله طبقا لمنهجهم لا يُرى بالإبصار في الدنيا ولا في الآخرة ولا يجوز ذلك عليه تعالى، وأما الاشعرية فإنهم يُثبتون الرؤية بالإبصار في الآخرة ولكن دون مقابلة.( ) بيد أن سلف هذه الأمة وأئمتها قد أثبتوا الرؤية لله تعالى عن طريق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومنعوا العقل من الخوض في تفصيلات هذه الرؤية، فآمنوا بالنقل ولم يُطلقوا للعقل العنان في كيفية هذه الرؤية، ونظرًا لطبيعة وأهداف هذا البحث سنُفرد الحديث باختصار حول معالجة السلف لمسألة الرؤية الإلهية حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعة "رشيد رضا" السلفية بخصوص هذه المسألة وفي هذا الصدد يمكننا القول : ٦

لقد ذهب سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين لهم ومن سلك منهجهم من الأئمة أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، أي أن المؤمنين سيرونه في الجنة رؤية بصرية، بغير إحاطة ولا كيفية منزها عن صفات المخلوقين، فهم يثبتون رؤية الله بالإبصار(*) وقد استدلوا بالنصوص الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن النصوص التي استدل بها السلف على ثبوت الرؤية قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ **[القيامة: ٢٢، ٢٣]** ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ **[المطففين: ١٥]**

أي الكفار محجوبون عن رؤية الله عز وجل، كما فسرها السلف وأئمة السنة.( )

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ **[يونس:٢٦]** وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح من تفسيره الزيادة بأنها النظر إلى الله عز وجل وروي ذلك عن الصحابة أبو بكر وحذيفة بن اليمان وابن مسعود وابن عباس.( ) ٨

ومن الأدلة من السنة النبوية التي استند إليها السلف في ثبوت الرؤية قوله صلى الله عليه وسلم "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القمر لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ."( ) وفي صحيح مسلم قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم (إذا٦دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وجَلَّ." وفي رواية : وزاد ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾.( )

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : "يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : "هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا :" لا يَا رَسُولَ اللَّهِ." قَالَ :" فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟" قَالُوا : "لا يَا رَسُولَ اللَّهِ." قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ."( ) ١

ومن أقوال بعض أئمة السلف حول ثبوت الرؤية يوم القيامة( )ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قيل له كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى؟ قال نعم. وقال مالك بن أنس" الناس ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة بأعينهم وقيل أن أحمد بن حنبل بلغه عن رجل أنه قال:" إن الله تعالى لا يُرى في الآخرة "، فغضب غضبا شديدًا ثم قال من قال بأن الله تعالى لا يُرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، أليس الله عز وجل قال: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى.

هذا عن موقف السلف من مسألة الرؤية الإلهية وإذا انتقلنا إلى رشيد رضا لمعرفة موقفه من هذه المسألة نجده يستهل حديثه بإفراد القول حول ذلك الخلاف الذي دار بين المُثبتون للرؤية والنافون لها وأدلة كل فريق منهما وفي هذا الصدد يقول" إنما وقع المراء بين المُتكلمين والمُتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة (الرؤية) فأثبتها أهل الأثر لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الأحاديث عليها، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات....وقالوا إننا لا نبحث في كيفيتها كما أننا لا نبحث في كيفية ذاته وصفاته تعالى. ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافاة الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين...كما يعتنون بتأويل قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بأن النظر معناه الانتظار والرجاء."( )

من هنا يتضح أن رشيد رضا يرى أن الخلاف الذي نشأ بين السلف والمتكلمين تجاه رؤية الله يوم القيامة منبعه أن السلف قبلوا ظاهر الآيات والأحاديث التي تكلمت عن رؤية عباد الله المؤمنين له جل شأنه دون ثمة بحث في كيفية هذه الرؤية بيد أن المُتكلمين نفوا هذه الرؤية من مُنطلق التنزيه الإلهي عن صفات المخلوقين.

وبعد عرض رشيد رضا لموقف المُثبتين والنافيين للرؤية نجده يختار لنفسه موقف السلف المُثبت لرؤية المؤمنين لله يوم القيامة وفي هذا الصدد يقول" والحق في ذلك ما هدانا إليه دين الله الحق، وهو أن إدراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من المُحال الذي لا مطمع فيه (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ولكن العجز عن الادراك والاحاطة، لا يستلزم العجز عمّا دون ذلك من العلم والمعرفة التي ترتقي إلى الدرجة التي عبر عنها بالتجلي والرؤية ... فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جلية واضحه." ( ) ٤

وفي موضع آخر نجد رشيد رضا يتبنى موقف السلف في اثبات رؤية الله في الجنة بقوله" ... ففي الأحاديث المُتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في

الرؤية وتشبيهها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لا مضارّة فيها ولا تضامّ ولا ازدحام وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري أحد عشر حديثا في ذلك".( )

من خلال هذا النص يتضح تقرير رشيد رضا لمنهج السلف في الرؤية والانتصار له، وانتقاد طريقة مخالفيهم من أصحاب التأويلات.

ويختم رشيد رضا قوله في مسألة الرؤية بهذا الكلام –الذي يعبر أيمّا تعبير عن عمق النزعة السلفية عنده في مسألة الرؤية– الذي عنونه تحت اسم" الكلمة الجامعة الخاتمة في مسألة الرؤية) قال فيها "خلاصة الخلاصة أن رؤية العباد لربهم في الآخرة حق وأنها أعلى وأكمل النعيم الروحاني الذي يرتقي إليه البشر في دار الكرامة والرضوان وأنها أحق ما يصدق عليه قوله في كتابه المجيد ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ **[السجدة:١٧]** وقوله في الحديث القدسي الذي رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وأن هذا وذاك مما يدل عليه مذهب السلف الذي عبر بعضهم عنه بأوجز عبارة اتفق عليها جميعهم وهي أنها رؤية بلا كيف." ( ) ٦

سادسًا- النزعة السلفية في شرح "رشيد رضا" للصفات الفعلية:

إذا كنا قد تطرقنا في المحور السابق لبيان النزعة السلفية في عرض رشيد رضا للصفات الذاتية من خلال نموذجين من هذه الصفات، فإننا في هذا المحور سنُبرز أيضا هذه النزعة في القسم الثاني للصفات (الصفات الفعلية للذات الإلهية). وسنقوم أيضا في هذا المحور بعرض نموذجين من الصفات الفعلية التي عرضها رشيد رضا في مؤلفاته لاسيما الصفات التي كانت مثارا للخلاف بين السلف ومن سار على نهجهم والفرق الكلامية الأخرى وهذا من الأهمية بمكان لمعرفة نزعة رشيد رضا السلفية في عرضه لهذه الصفات الفعلية.

وقبل أن نخوض في ذلك الأمر نود أن نعرض أولا لمفهوم الصفات الفعلية عند "رشيد رضا" وفي هذا الصدد يقول "ما له مبدأ خاص في النفس واستقرار فيها جدير بأن يُسمى صفة ذاتية وما ليس ذلك حقيق بأن يُسمى صفة فعل" .( ) ٧

والآن ننتقل لعرض نموذجين من الصفات الفعلية للذات الإلهية عند رشيد رضا وكعادتنا–نظرا لطبيعة هذا البحث–سنُسلط الضوء في عجالة حول موقف السلف من هذه النماذج حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعته السلفية في عرضه لهذه الصفات الفعلية.

صفة الاستواء :

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي دلت على استواءُ اللهِ على العرشِ ومنها على سبيل المثال قوله تعالى﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ **[طه:٥]**. وقد ورد أيضا في السنة النبوية المطهرة العديد من الأحاديث التي دلت أيضا على استواءُ اللهِ على العرشِ ومنها قوله صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ (إِنَّ اللهَ لَمَّا قضَى الخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي).( ) ٨ ٧

وبالرغم من هذه النصوص التي أثبتت صفة الاستواء للذات الإلهية إلا أن هذه الصفة كانت مثارا لخلاف كبير بين السلف والفرق الكلامية الأخرى كالمعتزلة والجهمية، ويطول بنا المقام في سرد هذا الخلاف(*) وما يعنينا هنا هو بيان موقف السلف من صفة الاستواء حتى يتسنى لنا الوقوف على نزعة "رشيد رضا" السلفية في عرضه لهذه الصفة.

وفي هذا الصدد يمكن القول: لقد كان منهج السلف في الاستواء كمنهجهم في سائر صفات الله فهم وسط بين فرقتين هم المُعطلة والمُشبهة فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ذاته بذوات خلقه كما فعلت المشبهة وكذلك لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، كما فعلت المعتزلة أو المُعطلة.

فمنهج السلف كما أشرنا آنفا هو إثبات صفات الله مع نفي مماثلة المخلوقين، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ففي قوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل.(٩)

وبناءًا على هذه القاعدة كان مذهب السلف في صفة الاستواء أنهم يثبتون استواء الله على عرشه استواءًا يليق بجلاله وعظمته، ويناسب كبريائه. فالاستواء صفة ثابتة في القرآن والسنة وقد أجمع سلف الأمة على إثباتها .ومن أشهر أقوال السلف في صفة الاستواء ما نُقل عن "الإمام مالك"(٩٣-١٧٩هـ) حينما سُئل يا "أبا عبد الله" ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه العرق ورفع رأسه وقال مقولته المشهورة "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وأحسبك رجل سوء وأمر به فُأخرج" .(٨ ١)وكذلك عندما سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن الاستواء، قال للسائل، قل لي أنت أولًا كيف هو، أقل لك كيف استوى.(٨)

هذه كانت وقفة حول مذهب السلف تجاه صفة الاستواء وإذا انتقلنا إلى "رشيد رضا" لمعرفة موقفه من هذه الصفة نجده يؤكد أولا على أن استواء الله جل شأنه على العرش قد نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في أكثر من موضع وفي هذا الصدد يقول "رشيد رضا" "فالاستواء على العرش قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثُر حصرها، ويطول نشرها، وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في غير حديث".(٨ ٢)

من خلال هذا النص يتضح أن رشيد رضا يُثبت صفة الاستواء للذات الإلهية – على غرار منهج السلف– من خلال صريح النقل(القرآن والسنة) في مواطن كثيرة على استوائه جل في علاه مؤكدا على أن هذه المواطن ليست بالقليلة.

ويستطرد "رشيد رضا" في أن استوائه جل علاه على العرش أمر فطري عند كل مسلم وفي هذا الصدد يقول ".... هذا ما يجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه، ويحسه في فطرته، وتجذبه إليه طبيعته، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه، والتجأ إليه ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع، وعزه المنيع. فإنه يشير عند ذلك بكفه، أو يرمي إلى السماء بطرفه." (٣ ٨)

وبناءا على ما أشار إليه رشيد رضا من أن استواء الله على العرش أمر فطري داخل كل مسلم نجده يؤكد على أن استواء الله على العرش من المسائل الواضحة التي ليس فيها لبس ولا تحتاج إلى طول شرح، وفي هذا الصدد يقول: "والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف، وأبين من أن يحتاج فيها إلى تطويل، ولكنها لمّا وقعت تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية كثر الكلام في مسألة الاستواء وطال." ( )

وبعد اثبات رشيد رضا استواء الذات الإلهية على العرش وتأكيده على أن استواءه جل علاه على عرشه من المسائل الواضحة الجليه التي ليس بها لبس أو غموض بيد أن ما حدث من خوض بعض المتكلمين في هذه المسألة هو الذي جعل الكلام يطول فيها دون ثمة مبرر فاستواء الله على عرشه من المسلمات الواضحة كما يرى رشيد رضا.

وبعد ذلك الإثبات نجد "رشيد رضا" يتطرق إلى بيان منهج السلف بخصوص صفة استواء الله على العرش. وفي هذا الصدد يقول "ومن جملة الصفات التي أمرّها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء... فهم يقولون نحن نُثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على العرش على هيئة لا يعلمها إلا هو، وفي كيفية لا يدري بها سواه، ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته، ولا يحيط عباده به علما".(٥)

ويختم "رشيد رضا" حديثه عن صفة الاستواء بكلام يُشتم منه نزعته السلفية حيث يؤكد على ان طريق النجاه والمنهج القويم في التعامل مع صفة استواء الله على العرش هو ذلك المنهج الذي اختطه السلف. وفي ذلك الصدد يقول "

.....فالسلامة والنجاة في امرار ذلك على الظاهر والإذعان بالاستواء على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال، ولا فضول في شئ من المقال، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ولا معتصم عن الخطا، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة" .( ) ٦

صفتي الإتيان والمجيء لله عز وجل :

صفتي الإتيان والمجيء من الصفات الثابتة لله عز وجل من الكتاب والسنة، فلقد جاء في مُحكم التنزيل قوله جل علاه﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ **[الفجر:٢٢]** وقوله جل جلاله ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ **[البقرة:٢١٠]**. وورد في السنة النبوية المُطهرة قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي(إذا تقرب إلى عبدي شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإذا تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة).( ) ٧ ٨

وبالرغم من صريح هذه الآيات والأحاديث تجاه ثبوت صفتي المجئ والإتيان للذات الإلهية إلا أنه حدث خلاف كبير بين السلف وبعض الفرق الكلامية كالجهمية والمعتزلة تجاه هاتين الصفتين، فقد بالغت هذه الفرق في تأويل هاتين الصفتين وتحريفهما عن ظاهرهما، أما عن الجهمية فقد نفتهما تماما.( ) أما المعتزلة أو المُعطلة فقد أولت المجئ والإتيان بمعنى التدبير والأمر فهم يُفسرون قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) جاء الملائكة صفًا صفا وربك فيهم مُدبر محكم.( ) ٩

أما عن السلف رحمهم الله فكدأبهم في التعامل مع الصفات الإلهية الواردة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية نجدهم يُثبتون صفَتي المجيء والإتيان لله سبحانه وتعالى مِن غير تكييف ولا تمثيل، ومِن غير تحريف ولا تعطيل وهما من الصِّفات الفعليَّة الخبرية كما هو مدون في مصنفاتهم.(*)وفي هذا الصدد يقول أبو الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤) "وقد أجمعوا – يقصد السلف – على أنه يجئ عز وجل يوم القيامة لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها.... وليس مجيئه حركة ولا زوالًا ".( )

من هذا النص يتضح لنا أن أبو الحسن الأشعري يؤكد على أن إجماع السلف على ثبوت صفتي المجئ والإتيان للذات الإلهية بيد أنه يوضح منهج السلف في أن مجيئه ليس كمجيء البشر. هذا باختصار عن موقف السلف وبعض الفرق الكلامية الأخرى حيال صفتي الإتيان والمجيء.

وإذا انتقلنا إلى "رشيد رضا" لمعرفة معالجته لهاتين الصفتين نجده يستهل حديثه بخصوص هاتين الصفتين بذكر ذلك الخلاف الذي وقع بين السلف والمتكلمين. وفي هذا الصدد يقول "ومن ألفاظ الحديثين التي اضطرب فيها العلماء مسألة الإتيان في الصور المُختلفة وإنكار المؤمنين له في بعضها ومعرفته في بعض فاختلفوا في تفسيرها وتأويلها... قال بعض المؤولين المراد بإتيانه تعالى رؤيته وقال بعضهم يأتي ملك بأمره لامتحانهم" ( ) ١ ٩

وبعد إشارة "رشيد رضا" لذلك الخلاف الذي وقع بين المتكلمين نجده يقول أن الأحرى والأسلم تجاه هاتين الصفتين هو موقف السلف وفي هذا الصدد يقول "...فأولى قول جمهور السلف أنه إتيان يليق به، لا كإتيان الخلق" ( ) ٢

وفي موضع آخر تظهر نزعة "رشيد رضا" السلفية في تبنيه لقواعد السلف في التعامل مع الصفات الإلهية من خلال إثباتها بلا كيف ولا شبه وفي هذا الصدد يقول "...بل المراد إتيانه سبحانه وتعالى بغير كيف ولا شبه ولا نظير." ( ) ٣

الخاتمة ونتائج البحث:

لقد قادنا هذا التحليل للنزعة السلفية في معالجة "محمد رشيد رضا" للصفات الإلهية إلى مجموعة من النتائج يُمكن اجمالها على النحو التالي:

١- توصلنا إلى أن مسألة الصفات الإلهية من المسائل المُستحدثة التي لم تُثر في الإسلام من قبل والمعتزلة هم أول من اخترع لفظ الصفات.

٢-عرّف رشيد رضا مذهب السلف بانهم من يتبعون في آيات الصفات مبدأ التفويض، وأن هذا المذهب هو المذهب المنصور وأهله هم الفرقة الناجية وقد أرجع نسب السلف إلى الإمام أحمد بن حنبل.

٣- اقتفى رشيد رضا آثار السلف في بيان أهمية العلم بصفات الله تعالى وفائدته، حيث أكد على أن أفضل ما يجنيه المرء من معارف في هذه الدنيا يكمُن في معرفته لصفات خالقه ومولاه.

٤- إقرار رشيد رضا أن منهج السلف في التعامل مع الصفات الإلهية هو الحق البيّن الثابت وهو منهج الأئمة الثقات وهو الأسلم والأعلم وألاحكم.

٥- تأكيد رشيد رضا أن طريقة السلف في إثبات الصفات الإلهية هي الطريقة الأفضل في الجمع بين النقل والعقل.

٦- اتضح لنا اقتفاء رشيد رضا لآثار السلف في تقسيمهم للصفات إلى ذاتية، وهي الصفات التي ترجع إلى نفس الذات ولا تنفك عنها والصفات الفعلية : وهي الصفات المتعلقة بالقدرة والإرادة، إن شاء الله فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها.

٧- أخيرًا تبين لنا أن "رشيد رضا" أكد على أن الواجب اعتقاده حيال قضية الصفات الإلهية هو منهج السلف هذا المنهج الذي يقف عند ما جاء في الكتاب والسنة مُشيرا إلى أن هذا المنهج هو طريق النجاة.

الهوامـــــــش

(١) أنظر مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي: أقوال الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، تحقيق شعيب الأرناوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص١.

(*) محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، البغدادي الأصل الحسيني النسب صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي.من الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ولد عام ١٨٦٥في القلمون بطرابلس الشام ونشا وتعلم فيها وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي .وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة. ولمّا أعلن الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ زار بلاد الشام، واعترضه في دمشق، وهو يخطب على منبر الجامع الأموي، أحد أعداء الإصلاح، فكانت فتنة، عاد على أثرها إلى مصر. وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٩٢٠م فأقام في وطنه الثاني مصر مدة ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا.وعاد فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في(سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة ١٩٣٥ أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا، و(تفسير القرآن الكريم اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله) و(تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده و(الوحي المحمدي) و(يسر الإسلام وأصول التشريع العام) و(الخلافة) و(الوهابيون والحجاز) و(محاورات المصلح والمقلد) و(ذكرى المولد النبوي) و(شبهات النصارى وحجج الإسلام). انظر محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ، ص١٣٣-١٣٩. وانظر أيضا خير الدين الزركلي:الأعلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين بيروت، لبنان الطبعة الخامسة، ١٩٨٠، ص١٢٦. وانظر أيضا الأمير شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو أخاء أربعين سنة، الطبعة الأولى، مطبعة بن زيدون دمشق، ١٩٣٧، ص٢٣ إلي٣٥.

(٢) اتظر جولد تسهر: مذاهب التفسير الإسلامي، تقديم عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٤، ص٣٥١.

(*) المدرسة السلفية أو النصّية أو النقلية كل هذه المصطلحات أُطلقت على مدرسة اعتمدت على النقل(الكتاب والسنة) أساساً ومنهجا لفكرها، فما جاء في النقل من اعتقادات التزمت به، وما لم يرد في النقل لم تأخذ به، وجعلت النقل موجها وحاكماً على العقل، وليس مصدراً من مصادر العقيدة كما فعلت المدرسة العقلية وبعبارة أخرى إعطاء مكان الصدارة والأولوية للنص الشرعي المُنزل، والكشف عن مضمونه من واقع الفهم اللغوي للألفاظ، استعانة بالنصوص الشرعية الأخرى المُنزلة، واستعانة بمختلف أصول التفسير. هي المدرسة التي اتخذت النص من كتاب أو سنة منهجاً لتقرير عقائدها، فهم يصدرون عن النص بداية، ويحتكمون إليه نهاية، وهم بشكل عام يمثلون المبدأ العام الذي نادي به الإمام أحمد بن حنبل(التمسك بالنصوص الشرعية وعدم تجاوزها) وينتسب إلى هذه المدرسة قديماً الفقهاء والمحدثون، وقد اشتهرت عن أعيانهم هذه العبارة: إذا صح الحديث فهو مذهبي. وأصبحوا فيما بعد يُطلق عليهم اسم الحنابلة، نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل، الذي عُرف بتمسكه بالنص الشرعي من كتاب وسنة، وعدم أخذه بالمنطق وعلم الكلام. وأصبح أصحاب هذه المدرسة يُطلق عليهم فيما بعد بالسلف، نظراً لقولهم بأنهم يقتدون بمن سبقهم من الصحابة والتابعين، وأنهم يسيرون على نهجهم في الاعتماد على النص الشرعي في الاستدلال على أمور الدين، سواء أكانت عقدية أم عملية. فالمدرسة السلفية هي فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما فهمه الجيل الأول (انظر الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق وتعليق فوقية حسين، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٧، ص٩٤. وانظر أيضا حسين جابر بني خالد:الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية، المجلة الأردنية، المجلد ١١، العدد٢، ٢٠١٥، ص١٧٧.

(*) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ولد ونشأ في العيينة (بنجد) عام ١٧٠٣ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها وزار الشام ودخل البصرة فأوذي فيها فعاد إلى نجد وكان أبوه قاضيا، نهج منهج السلف الصالح، داعيا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام. فقصد الدرعية (بنجد) سنة ١١٥٧هـ، فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز، وقاتلوا من خلفه، واتسع نطاق ملكهم فاستولوا على شرق الجزيرة كله، ثم كان لهم جانب عظيم من اليمن.وملكوا مكة والمدينة وقبائل

الحجاز وعُرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بأهل التوحيد وسماهم خصومهم بالوهابيين (نسبة إليه) وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوربيين فدخلت معاجمهم الحديثة، وأخطأ بعضهم فجعلها (مذهبا) جديدا في الإسلام، تبعا لما افتراه خصومه، وكانت وفاته في (الدرعية)عام ١٧٩٢وأحفاده اليوم يعرفون ببيت (الشيخ) ولهم مقام رفيع عند آل سعود.وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، منها (كتاب التوحيد) ورسالة (كشف الشبهات) و(تفسير الفاتحة) و(أصول الإيمان) و(تفسير شهادة أن لا إله إلا الله) و(معرفة العبد ربه ودينه ونبيه) و(المسائل التي خالف فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهل الجاهلية) أكثر من مائة مسألة، و(فضل الإسلام) و(نصيحة المسلمين) و(معنى الكلمة الطيبة) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و(مجموعة خطب) و(مفيد المستفيد).انظر الإعلام للزركلي، الجزء السابع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠

وانظر أيضا محمد بن عبد الله السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٤١–٤٥.

(٣) أنظر محمد السيد الجليند: قضية الإلوهية بين الدين والفلسفة، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢٤.

(*) المدرسة العقلية الحديثة أو الحركة التنويرية أو النهضة الإصلاحية كل هذه المصطلحات أُطلقت على اتجاه ظهر في البيئة الإسلامية في نهاية القرن الماضي، هذا الاتجاه جعل من العقل المصدر الأول أو الأساس أو المقدم في مصادر المعرفة والدين وتجعل منه مصدرا من مصادر الدين ومحكما في النصوص. لذا يرى البعض أن هذا المدرسة العقلية الحديثة هي امتداد وإحياء لمنهج المعتزلة في الاعتزاز بالعقل وتحكيمه في كل أمور الشريعة ولقد رفعت هذه المدرسة شعار أنه ليس في الإسلام ما لا يُقره العقل. (أنظر ناصر عبد الكريم العقل:الاتجاهات العقلانية، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص١٧، ١٥) ولقد أسس هذه المدرسة في العصر الحديث السيد جمال الدين الأفغاني، بيد أن الشيخ محمد عبده هو الذي شيد بُنيانها وأقام صروحها، فكان بحق هو إمامها وأستاذها المُخلص ومن أهم أقواله أن القران رفع من شأن العقل ووضعه في مكانه بحيث ينتهي إليه أمر السعادة والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع" (أنظر محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤) بل إن الإسلام

عنده يعتمد على الدليل العقلي وُيحتج به لا بالمعجزات:- "فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية ليس هذا فحسب بل يعتقد أن الإيمان بالله لا يؤخذ من الرسول ولا من الكتاب ولا يصح أخذه منهما بل من العقل"وإذا تعارض العقل والنقل عنده فقد "اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل"(انظر محمد عبده: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار الحداثة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، ص٦٤) وفي موضع آخر يقول الشيخ محمد عبده "أن العقل هو ينبوع اليقين والإيمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة" ويرى الشيخ محمد عبده أن جمود العقيدة يرجع إلى التقليد والنقل من غير تمحيص أو تدليل أو بحث.(أنظر محمد عبده: الإسلام في أوائل القرن العشرين، دار المنظومة، ٢٠١٨، ص٤٦) ومن أهم تلاميذ الشيخ محمد عبده "محمد رشيد رضا" والذي كان على صلة كبيرة بأستاذه وكثير الثناء عليه وأطلق عليه لقب الأستاذ الإمام ودون سيرته في كتاب عنونه تحت اسم تاريخ الأستاذ الإمام بسط فيه القول حول سيرته الشخصية وقسمه إلى ثلاث مجلدات (أنظر محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة، القاهرة الطبعة الثانية، ٢٠٠٦) وكان رشيد رضا يتمتع بمكانة كبيرة عند أستاذه محمد عبده وليس أدل على ذلك من أنه حينما طُلب من الشيخ محمد عبده إقصاء رشيد رضا قال محمد عبده كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عني وهو ترجمان أفكاري.(أنظر محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الجزء الأول، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص٢٤٤.

(*) لقد رأى البعض أن جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا هم أبرز رجال المدرسة العقلية وأشهرهم فالأول هو من غرس بذر هذه المدرسة ونواتها والثاني من بناها ونمّاها وقوّى جذورها، وأكثر فروعها والثالث رمن أكمل بناءها، وأظهر ثمرتها، ونشرها (أنظرمحمد حسين محمد الوالي: النظر العقلي وضوابطه في تفسير القرآن الكريم، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٤، ص١٦٧.

(٤) المقريزي: الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الجزء االرابع، الطبعة الأولى، ١٤١٨، ص١٨٨.

(٥) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر، دار الجبل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ص٢٨٥.

(٦) فخر الدين الرازي:كتاب لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، المطبعة الشرفية بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ، ص١٦.

(٧) محمد الحسيني أبو سعدة: المنهج النقدى عند الباقلانى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩١، ص١٧٦، ١٧٥.

(٨) أنظر نور الدين الصابوني: كتاب البداية من الكفاية في الهدايه في أصول الدين، تحقيق فتح الله خليف، دار المعارف، مصر ١٩٦٩.

(٩) عبد الكريم الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص١١٨.

(١٠) عبد الحي محمد قابيل:- في علم الكلام وأهم مدارسه، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠١٥، ص١٩٣.

(١٠) محمد الحسيني أبو سعدة: المنهج النقدي عند الباقلاني، ص١٨٠.

(١٠) إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦، ص٢١.

(١٠) محمد عاطف العراقي: مقالة أدلة وجود الله فى الفكر الاسلامي، ضمن دراسات فلسفية مهداة إلى روح عثمان أمين تصدير د. إبراهيم مدكور، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٧٩، ص٧١.

(١٠) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء السابع، مطبعة المنار، مصر، ١٣٥٠هـ، ص٥٠٠

(١٠) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الخامس، المجلد التاسع عشر، القاهرة، ١٩١٦، ص٢٨٢.

(١٠) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء السابع، ص٥٠٠.

(١٠) محمد رشيد رضا مجلة المنار، المجلد الأول، الجزء الثاني، القاهرة، ص٦٠٦.

(١٠) "ابن تيمية" :- الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق، حمد بن عبد المحسن التوبجري، دار الصميعي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص١٩٦.

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص١١٠.

(٢) ابن القيم:- بدائع الفوائد، المجلد الأول، تحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٢٤، ص١٦٤.

(٢) انظر ابن القيم:- طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩.

(٢) علي بن على بن محمد بن أبي العز الحنفي : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤١٨، ص١٧.

(٢) عز الدين عبد السلام:- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٢٠.

(٢) أبي عثمان بن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني:- عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، تحقيق ناصر عبدالرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص٦٣.

(٢) ابن تيميه: الرسالة التدمرية(تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع) تحقيق د/ محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠، ص٦-٨.

(٢) ابن القيم: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، المجلد الثاني، دار بن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣، ص٩١.

(*) أنظر في هذا على سبيل المثال لا الحصر:أحمد بن حنبل: أصول السنة، تحقيق عبد الله بن حسن بن الحسين، المطبعة السلفية للنشر، السعودية، ١٣٤٩. والبخاري: خلق أفعال العباد ،تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار عكاظ، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، ص٢٩-٤٦. واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تخريج أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، المجلد الأول، دار البصيرة، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص١٧٩-١٨٩. وأنظر أيضا ابن منده: الرد على الجهمية، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، ص١٤-٢٥.

وأنظر أيضا الدارمي: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨.الدارقطني: كتاب النزول وكتاب الصفات، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الاولى، ١٩٨٣، ص٦٣، ٦٢.

(٢)حسين جابر بني خالد:- الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية ص١٧٧.

(٢) أبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد بن الفراء:- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق أبي عبدالله محمد بن حمد النجدي، الجزء الأول، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت، ص٤٧-٥٥-١٢٧.

(٢) أنظر هذه القواعد في الأصبهاني: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الجزء الأول، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص٩٠-٩٥. وأنظر أيضا ابن قدامة المقدسي: ذم التأويل، تحقيق بدر بن عبد الله بدر، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص٩. وأنظر أيضا ابن تيمية: التدمرية تحقيق محمد بن عودة السعوي، ص٤-٥، وأنظر أيضا محمد بن خليفة التميمي: معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، مكتبة أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص٧١.

(٣) أبي سليمان حمد بن محمد البُستي الخطابي: الغُنية عن الكلام وأهله، دار المنهاج للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٩.

(٣) أنظر ابن القيم: الصواعق المُرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق على بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

(٣) محمد أمان على الجامي: الصفات الإبهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، ص٨٥.

(*) التعطيل هو نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأما التحريف؛ فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليه أنظر ابن تيمية: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٢٧.

(٣) (ابن تيميه: الفتوى الحموية الكبرى، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣) حسين جابر بني خالد:- الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية ص١٧٨.

(٣) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن، القاهرة، ١٩٠٥، ص٦١٤

(٣) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن والعشرون، ص٢٧٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٦١٨.

(٣) محمد رشيد رضا مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن، ص٦١٤.

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الثالث، ص١٩٦.

(٤) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن، ص٦١٨.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الثالث، ص١٩٧.

(٤) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن، ص٦١٨.

(٤) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦، ص٨٤.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الأول، ص٧٧.

(٤) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن والعشرون، ص٢٧٠-٢٧١.

(٤) أنظر ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الجزء الأول ص٢٨٢-٢٩٢.

(٤) ابن تيمية :- الفتوى الحموية الكبرى، ص٥٤٣.

(٤) محمد أمان على الجامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص١٩٩.

(٤) أنظر في تقسيم السلف للصفات الإلهية على سبيل المثال ابن القيم: بدائع الفوائد، ص٢٨٠-٢٨١. وأنظر أيضا البيهقي: الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص٢٩-٣٢. وأنظر أيضا محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، تحقيق عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، الجزء الأول، مكتبة الرشد، الرياض، ص٢٥٩-٢٧٠. وأنظر أيضا محمد أمان على الجامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص٢٠٦.

(٥) ابن تيمية :مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الأول، تخريج وتعليق محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، ص٢١٤.

(٥) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الأول، ص٧٥.

(٥) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٣٩٩.

(٥) نفس المصدر السابق: ص٣٩٨.

(٥) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٣٩٩.

(٥) محمد أمان على الجامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص٢٠٧.

(٥) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الأول، ص١٣٥.

(٥) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٤٤١.

(٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، راجعه قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص٣٨٤.

(*) أنظر في هذا على سبيل المثال لا الحصر :اللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص٣٣٥-٣٣٩. وأنظر أيضا الدارمي: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٤١-٤٥. وأنظر أيضا الدارقطني: كتاب النزول وكتاب الصفات، ص، ٦٦-٧٦. وأنظر أيضا بن خزيمة: كتاب التوحيد، تحقيق أبو مالك بن أحمد بن على القفيلي، الطبعة الثانية، ١٤٢٧، ص٩٩. وأنظر أيضا بن منده:كتاب التوحيد، ص٤٨٣. وأنظر أيضا أبى يعلى: إبطال التأويلات لأخبار الصفات، ص٣٣٧-٣٤٢.

(٥) ابن تيمية: الرد على المنطقيين، تقديم السيد سليمان الندوي، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

(٦) أنظر البيهقي:الأسماء والصفات، تحقيق محمد محب الدين أبو زيد، الجزء الأول، دار الشهداء للتحقيق والنشر، ١٤٣٠، ص٥٠٧.

(٦) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٦٤٧.

(٦) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثامن والعشرون، ص٢٧١، ٢٧٠.

(٦) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٦٤٧.

(٦) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء السادس، ص٦.

(٦) محمد رشيد رضا:مجلة المنار، المجلد الثالث، ص٦٤٧.

(٦) أنظر على سبيل المثال القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسيني بن أبي هاشم، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦، ص٢٣٢-٢٧٦. وأنظر أيضا الجويني:كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص١٥١-١٥٧.وأنظر أيضا ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية١٩٦٤، ٨٢، ٨١. وأنظر أيضا ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، المجلد الثاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٣، ص٧٥-٧٦. وأنظر أيضا الدارمي:رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص١٣-١٩. وأنظر أيضا الدارمي: الرد على الجهمية، تحقيق أبو عاصم الشوامي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية للنشر، مصر، ١٤٣١، ص١١٣-١١٨. محمد أمان على الجامي: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص٣٣٥

(*) أنظر في هذا على سبيل المثال لا الحصر: أحمد بن حنبل:- أصول السنة، ص٣، واللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص٣٧٣-٣٨٧. وابن خزيمة: كتاب التوحيد، ص٢٨٦-٢٩٣. وابن منده: كتاب التوحيد، تحقيق محمد بن عبد الله الوهيبي، دار الهدى النبوي، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧. ص٤٧٦، ٤٧٥.السفاريني: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، ص٢٨٣، ٢٨٢.وابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، المجلد الثاني، ص٧٥. وأنظر أيضا أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين، ص٣٥-٦٠.

(٦) الدارمي: الرد على الجهمية، ص٩٨.

(٦) الآجُرِّيُّ: الشريعة، الجزء الثاني، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، ص١٤، ١٣.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة) الجزء ١٣، رقم ٦٩٩٧، ص٤٢٩.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، الجزء الأول، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، رقم ١٨١، ص١٦٣.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، الجزء ١٣، رقم ٧٠٠٠، ص٤٣٧.

(٧) الآجُرِّيُّ: الشريعة، الجزء الثاني، ص٨-١٤.

(٧) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الخامس، المجلد التاسع عشر، ص٢٨٣.

(٧) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الخامس، المجلد التاسع عشر، ص٢٨٣.

(٧) نفس المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٧) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء التاسع، ص١٧٧.

(٧) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثالث، ص٤٤١.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء السادس، كتاب بدء الخلق، ص٣٢٩.

(*) أنظر في هذا الخلاف على سبيل المثال لا الحصر :اللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص٣٩١. وأنظر أيضا الدرامي:رد الإمام الدرامي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٧١-١٠٦. وأنظر أيضا أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين، ص١٠٥-١١٩.وأنظر أيضا الدرامي:الرد على الجهمية، ص٤٦-٥٠.وأنظر أيضا بن خزيمة: كتاب التوحيد، ص١٨٢. وأنظر أيضا بن منده:كتاب التوحيد، ص٧٣٣-٧٣٥. وأنظر أيضا أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص٢٥٨-٢٦١.

(٧) أنظر ابن تيمية: التدمرية، ص٥، ٤.

(٨) ابن قدامة: ذم التأويل، ص١١.

(٨) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المجلد الخامس، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ٢٠٠٣، ص٤١.

(٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء ١١، المجلد السابع عشر، ص٨٢٨.

(٨) نفس المصدر السابق، ص٨٢٨.

(٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء ١١، المجلد السابع عشر، ص٨٢٧.

(٨) نفس المصدر السابق، ص٨٢٧.

(٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، الجزء ١١، المجلد السابع عشر، ص٨٢٧-٨٢٨.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٣، الرقم ٧٠٩٨، ص٥٢١.

(٨) أنظر الدرامي:الرد على الجهمية، ص٨٤-٨٦.

(٨) أنظر الدرامي: رد الإمام الدرامي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص١٤٨-١٥٠.

(*) أنظر في هذا سبيل المثال لا الحصر: ابن قدامة المقدسي:شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تقديم محمد صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص٢٩. وأنظر أيضا أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين، ص١١٤. وانظر أيضا ابن تيمية: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٦٣.

(٩) أبو الحسن الأشعري: رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص٢٢٧.

(٩) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء التاسع، ص١٤٥-١٤٦.

(٩) نفس الصدر السابق، ص١٤٦.

(٩) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الثامن، ص٢٠٨ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً مؤلفات محمد رشيد رضا

١- محمد رشيد رضا: المنار والأزهر، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ.

٢---------: تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة، القاهرة الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

٣---------: الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ.

٤---------: تفسير المنار، الجزء الأول، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٤٧م.

٥---------: تفسير المنار، الجزء االثالث، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ هـ.

٦---------: تفسير المنار، الجزء السابع، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧هـ.

٧---------: تفسير المنار، الجزء الثامن، مطبعة المنار، مصر الطبعة الأولى، ١٢٩٨ هـ.

٨---------: تفسير المنار، الجزء التاسع، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٦٧هـ.

٩---------: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن، القاهرة، ١٩٠٥م.

١٠--------: مجلة المنار، الجزء الأول، المجلد الثامن والعشرون، القاهرة، ١٩٢٧م.

١١--------: مجلة المنار، الجزء الثاني، المجلد الأول، القاهرة، ١٨٩٩م.

١٢--------: مجلة المنار، الجزء الخامس، المجلد التاسع عشر، القاهرة، ١٩١٦م.

ثانياً المصادر

١- ابن القيم: مدارج السالكين، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

٢---------: بدائع الفوائد، المجلد الأول، تحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤٢٤هـ.

٣---------: طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٤---------: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، المجلد الثاني، دار بن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٥---------: الصواعق المُرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق على بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

٦-ابن تيمية: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى.

٧---------: الرسالة التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع) تحقيق د/ محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة السادسة، ٢٠٠٠م.

٨---------: مجموع الفتاوى، المجلد الخامس، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، السعودية، ٢٠٠٣م.

٩---------: الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق، حمد بن عبد المحسن التوبجري، دار الصميعي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٠--------: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، المجلد الثاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ.

١١--------: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الجزء الأول.

١٢--------:مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الأول، تخريج وتعليق محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

١٣--------: الرد على المنطقيين، تقديم السيد سليمان الندوي، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٤--------: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المجلد الخامس، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ٢٠٠٣م.

١٥--------: شرح العقيدة الواسطية، شرح محمد خليل هراس، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٦- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، راجعه قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٧- ابن خزيمة: كتاب التوحيد، تحقيق أبو مالك بن أحمد بن على القفيلي، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

١٨-ابن قدامة المقدسي: ذم التأويل، تحقيق بدر بن عبد الله بدر، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

١٩---------:شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تقديم محمد صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٢٠- ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

٢١-أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ، تحقيق وتعليق فوقية حسين، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

٢٢---------: رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

٢٣-ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر، دار الجبل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٢٤-بن منده: الرد على الجهمية، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

٢٥---------:كتاب التوحيد، تحقيق محمد بن عبد الله الوهيبي، دار الهدى النبوي، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢٦- أبي سليمان حمد بن محمد البُستي الخطابي:- الغُنية عن الكلام وأهله، دار المنهاج للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٧- أبي عثمان بن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني:- عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، تحقيق ناصر عبدالرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٢٨- أبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد بن الفراء:- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق أبي عبدالله محمد بن حمد النجدي، الجزء الأول، ، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت.

٢٩- أحمد بن حنبل: أصول السنة، تحقيق عبد الله بن حسن بن الحسين، المطبعة السلفية للنشر، السعودية، ١٣٤٩هـ.

٣٠- البخاري: خلق أفعال العباد ،تحقيق عبد الرحمن عميرة، دارعكاظ، جدة، السعودية، الطبعة الثانية.

٣١- البيهقي: الأسماء والصفات، تحقيق محمد محب الدين أبو زيد، الجزء الأول، دار الشهداء للتحقيق والنشر، ١٤٣٠ هـ.

٣٢------:الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٣٣- الآجُرِّيُّ: الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٣٤- الجويني: كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣٥-الدارقطني: كتاب النزول وكتاب الصفات، تحقيق على بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الاولى، ١٩٨٣م.

٣٦-الدارمي: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

٣٧-------: الرد على الجهمية، تحقيق أبو عاصم الشوامي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية للنشر، مصر، ١٤٣١هـ.

٣٨- السفاريني: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، تحقيق عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، الجزء الأول، مكتبة الرشد، الرياض.

٣٩- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسيني بن أبي هاشم، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

٣١- اللالكائي:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تخريج أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، المجلد الأول، دار البصيرة، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

٣٢- الأصبهاني:- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الجزء الأول، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

المقريزي: الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الجزء االرابع، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٣- خير الدين الزركلي:الأعلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين بيروت، لبنان الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

٣٤- عبد الكريم الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣٥- على بن على بن محمد بن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤١٨، ص١٧.

٣٦- عز الدين عبد السلام:- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٣٧- فخر الدين الرازي: كتاب لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، المطبعة الشرفية بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ.

٣٨- مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي: أقوال الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، تحقيق شعيب الأرناوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٣٩- محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٤٠--------:الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار الحداثة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٤١--------:الإسلام في أوائل القرن العشرين، دار المنظومة، ٢٠١٨م.

٤٢- نور الدين الصابوني: كتاب البداية من الكفاية في الهدايه في أصول الدين، تحقيق فتح الله خليف دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.

ثالثاً المراجع

١- إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٢- جولد تسهر: مذاهب التفسير الإسلامي، تقديم عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٤م.

٣- حسن محمود الشافعي:- المدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٤- حسين جابر بني خالد: الأصول المنهجية في العقيدة عند المدارس الفكرية، المجلة الأردنية، المجلد ١١، العدد٢، ٢٠١٥م.

٥- شكيب أرسلان:السيد رشيد رضا أو أخاء أربعين سنة، الطبعة الأولى، مطبعة بن زيدون دمشق، ١٩٣٧م.

٦- علوي بن عبد القادر السقاف:- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، الدرر السنية للنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.

٧- عبد الحي محمد قابيل:- في علم الكلام وأهم مدارسه، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

٩- محمد أمان على الجامي: الصفات الإبهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٠- محمد بن خليفة التميمي:- معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، مكتبة أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١١- محمد الحسيني أبو سعدة: المنهج النقدى عند الباقلانى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩١م.

١٢- محمد بن عبد الله السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٣- محمد السيد الجليند: قضية الإلوهية بين الدين والفلسفة، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٤- محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الجزء الأول، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٥-محمد حسين محمد الوالي: النظر العقلي وضوابطه في تفسير القرآن الكريم، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٤م.

١٦-محمد عاطف العراقي: مقالة أدلة وجود الله فى الفكر الاسلامي، ضمن دراسات فلسفية مهداة إلى روح عثمان أمين تصدير د.إبراهيم مدكور، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٧- ناصر عبدالكريم العقل: الاتجاهات العقلانية، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.